

التحضر: دراسة لبعض المشكلات النظرية والمنهجية المتعلقة به

ملخص

إذا كان مفهوم التحضر عبارة عن انتقال مكان الإقامة من الريف إلى المدينة وما يترتب عنه من تغير في الخصائص الاجتماعية من عادات اجتماعيه وثقافية بالمجتمعات المتقدمة، فإن نفس هذه الظاهرة رغم أنها تحدث نتيجة هذا الحراك الجغرافي للسكان نحو المدن بالدول النامية، إلا أنها لا تنطوي بالضرورة على نفس الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي ترافق عملية الانتقال لهؤلاء السكان مما يؤثر بالتالي على المعنى الاصطلاحي أحيانا لمُدلول هذه العبارة في بعدها الاجتماعي و غير الاجتماعي.

لذا تأتي محاولتنا هذه لتوضيح ماهية هذه الظاهرة من حيث الاصطلاح وتحديد كعملية ولو نسبيًا، سعيًا منّا للتعرف على طبيعتها وبعض جوانب اللبس الذي يواجهنا كدارسين لهذه الظاهرة، سواء بالمجتمعات المتقدمة أو بمجتمعاتنا النامية التي تعيش عصر العولمة والانفتاح بأشكاله الاقتصادية التكنولوجية والثقافية.

أ. فتيحة هارون

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة سطيف 2
الجزائر

مقدمة

إن تحديد المفاهيم العلمية في العلوم الاجتماعية والإنسانية تعد عملية من العمليات الصعبة التي تواجه الباحث عند مناقشته بعض موضوعات هذا العلم بل تكاد تكون إحدى الخصائص اللصيقة بهذا العلم الاجتماعي بما في ذلك العلم الذي يندرج في إطاره طرح هذا الموضوع الذي نحن بصدد مناقشته من خلال هذه المقالة، وهو "السوسيولوجيا الحضرية"، لكونها العلم الذي يختص بدراسة الظاهرة الحضرية وكل ما يرتبط بالحياة الحضرية من مشكلات، فكلمة "حضر أو حضري ذاتها رغم أنها تشكل مادة أولية في بناء هذا العلم ونظرياته؛ إلا أنها كثيرًا ما تستخدم في مواقف شديدة

Résumé

Si le concept de l'urbanisation désigne l'exode rural qui s'accompagne avec les changements qui touchent différents aspects socio-économiques et culturels, il s'apparente à celui des sociétés développées.

Notre travail met en exergue l'essence du phénomène du point de vue terminologique et en tant que processus social.

Nous tenterons de dépister sa nature et lever les ambiguïtés auxquelles nous faisons face qu'il s'agisse de sociétés développées ou en voie de développement. Ces dernières, qui vivent l'ère de la globalisation mondiale et connaissent une large ouverture économique, technologique et culturelle.

Nous tenterons de dépister sa nature et lever les ambiguïtés auxquelles nous faisons face qu'il s'agisse de sociétés développées ou en voie de développement, cette dernière qui assistent l'ère de la globalisation mondiale et vie une large ouverture économiques technologiques et culturelles .

التنوع وما يزال يحيط بها الغموض في استخداماتها اللغوية والاصطلاحية أحيانا وذلك بسبب حداثة تناولها العلمي لاسيما بمجتمعاتنا من جهة، و تعدد دلالاتها بتعدد العلماء والنظريات، والمذاهب التي اتجهت اتجاهات أحيانا كثيرة متعارضة في تحديد

ماهيتها، وكذا الحقائق الاجتماعية المرتبطة بها، مما حال ولا يزال يحول دون التوصل إلى تعميمات حولها كظاهرة اجتماعية من جهة، كما حال دون استناد هذا العلم الاجتماعي الحضري إلى موقف نظري موحد يجمع عليه كافة المشتغلين به من جهة أخرى.

لذلك سوف نلتزم هنا بوضع تعريف محدد للظاهرة من خلال مناقشته طوال هذا العمل وذلك في إطار هذا النسق المعرفي باعتباره ضرورة منهجية تقتضيها نسبة التحضر "كمفهوم" و"كعملية اجتماعية" من خلال الإشارة للخبرات التاريخية التي خبرتها المجتمعات الإنسانية في عملية مرورها ومعايشتها لهذه الظاهرة بين مجتمعات متقدمة وأخرى نامية؛ هذه الأخيرة التي تعيش في مرحلتها الراهنة تحولات اجتماعية، واقتصادية وسياسية واسعة، سواء أكان ذلك على الصعيد المحلي، أم العربي أم الدولي بشكل لم تشهده في تاريخها الطويل. ولعل أبرز هذه التحولات وأكثرها تعقيدا تلك التي تتمثل في انتقالها من الحياة الريفية إلى الحياة الحضرية، خاصة في ظل تعاظم درجة التحضر ونمو المدن بها بشكل لا نظير له. وبالنظر لما تطرحه هذه العملية من مشكلات وانفجار حضري خاصة في ظل العولمة.

إذ أصبحت المدن العربية تضيق بساكنيها، نتيجة لزيادتهم الديموغرافية المضطربة والناجمة عن ارتفاع تيارات الهجرة الريفية الحضرية نحوها وباضطراد معدلات نموها الطبيعي. الأمر الذي أدى ولا يزال يؤدي إلى تدني مستويات الخدمات الإرتكازية والخدمة العامة بها، وتفاقم الجماعات الهامشية التي تعيش درجات مخيفة من الفقر وما أسفرت وتسفر عنه من تطور للحركات الاجتماعية بفعل ما يعرف "بالربيع العربي" ، إن صح لنا تسميته كذلك، هذا الأخير الذي أحدث اضطرابا عميقا بالكثير من هذه المجتمعات بفعل تكتلات الفئات العمالية والمهنية، وغير المهنية (البطالة)، المطالبة بحقوقها الاجتماعية والسياسية، لدرجة جعلت الأوضاع القائمة بهذه المجتمعات يبدو كل شيء فيها في حالة تعثر، أو يعيش أزمة حقيقية لم تعرفها عبر التاريخ لتراجع الاقتصاديات الحضرية المحلية بهذه البلدان وما ترتب عنها من آثار.

وعلى ذلك تبدو أهمية معالجة هذه الظاهرة والاهتمام العلمي بهذه المجتمعات، بدءا من تحديد المفاهيم الأولية التي تقوم عليها ظاهرة التحضر "كعملية اجتماعية بها . كخطوة لفهم ودراسة التغير الذي تعرفه هذه المجتمعات. إلا أن التطرق في هذه الورقة

إلى تحديد المقصود بمصطلح التحضر وما يرادفه من مصطلحات، ويجعلنا نقر منذ البداية بمدى اشتراكه مع غيره من المفاهيم والمصطلحات كمصطلح الحضرية والنمو الحضري وعمليات الانتشار الثقافي وغيرها من المصطلحات التي تقوم عليها النظرية السوسيولوجية الحضرية. وهو ما يؤكد "سجوبرج" حينما يقول (1) إن من بين العقبات الأساسية التي تواجهها في الصياغة النظرية لعلم الاجتماع الحضري هو غموض بعض المفاهيم الأساسية وعدم تحديدها بصورة كافية. ومن بين هذه المفاهيم التي تستند إليها النظرية، والتي لها أهمية كبيرة في الدراسة المتعلقة بنشأة المدن ونموها والظواهر الحضرية التي تواجه المدن المعاصرة بشكل يقتضي مزيدا من البحث والدراسة هو "مفهوم التحضر".

ولتوضيح ذلك نورد بعض التعريفات على سبيل المثال وليس الحصر لتبين بعض هذا التداخل في المعنى، وعدم التحديد الاصطلاحي للمصطلح، بدءا من التحديد اللغوي حيث يظهر هذا التداخل لي طرح كإشكال مفاهيمي "مدلول التحضر، وان كنا في الحقيقة لا نركز على المدلول اللغوي، بقدر ما نود أن نؤكد التركيز هنا على المعنى الاصطلاحي الذي يعالجه علم الاجتماع الحضري كفرع متخصص من فروع علم الاجتماع. وكذا تحديد العمليات الأساسية المصاحبة للتحضر وتلخيص أبعادها مع تقديم مقترح منهجي لبحثها كظاهرة.

أولا : التحديد المفاهيمي للتحضر والمصطلحات المرتبطة به:

يعرف التحضر نظريا "بأنة عبارة عن ذلك المؤشر الدال عن القفزة النوعية التي يحققها المجتمع في حياته و مستوى معيشتة. إذ هو في نظر بعض الحتميين القدامى: يعني الانتقال من مستوى معيشي يكتفي فيه الفرد بضروريات الحياة، إلى مستوى معيشي آخر يتطلع فيه إلى الكماليات بتعبير "إبن خلدون" والانتقال من مجتمع بسيط متجانس بتعبير "سبنسر"، إلى مجتمع أحر أكثر تعقيدا أو تباينا، أو الانتقال من المجتمع ذي التضامن الآلي، إلى المجتمع ذي التضامن العضوي بمفهوم "إميل دوركايم". بمعنى أنه مؤشر دال على التغير الاجتماعي الإيجابي الذي ينتاب المجتمع بعدد جوانبه. (2)

وإذا كانت هذه التعاريف البسيطة و المختصرة جدا والمقدمة أعلاه تنطبق أكثر على حالة المجتمعات الصناعية المتقدمة، فإنها لا تنطبق إلى حد كبير على الكثير من المجتمعات التابعة للعالم النامي التي تعيش حالة غير طبيعية من تحضرها الحديث رغم كونه أي "التحضر" يعد في الحقيقة ظاهرة تاريخية بهذه المجتمعات. إلا انه في الواقع الجزائري والمغربي وغيره من البلدان التبعية العربية لم يأت نتيجة لثورتها الصناعية أو السياسية أو الثقافية، كتلك التي خبرتها الدول المتقدمة، بل جاء نتيجة لعوامل تاريخية ارتبطت بالأساس بالظاهرة الاستعمارية التي خضعت لها هذه البلدان بما فيه الجزائر، وما ترتب عنها من تفكيك للبنيات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية التقليدية بهذه المجتمعات، مما ساهم في ارتفاع معدلات الهجرة

الريفية نحو المدن بها ، وزيادة نموها الديموغرافي. وهو ما يجعل هذا البعد التاريخي مهم في حد ذاته لفهم واقع الظاهرة الحضرية بهذه المجتمعات، خاصة في إطار ما يعرف بالعلاقة الجدلية التي تربط الريف بالمدينة بهذه المجتمعات. وهو ما اكسب هذه الظاهرة خصائص ميزتها عن غيرها من المجتمعات المتقدمة، والتي يمكن تلمس بعض ملامحها كظاهرة من خلال مناقشة بعض التعريفات الملخصة لهذه الظاهرة من خلال هذه المقالة.

إذ يعرف التحضر " في موسوعة العلوم الإجتماعية: "بأنه هو العملية التي بمقتضاها تحتشد نسبة كبيرة من سكان إحدى المجتمعات في المدن وهي عملية قد ترتبط أو لا ترتبط بالتصنيع. (3)

- وبذلك يتم الإشارة في هذا التعريف للتحضر بالتركيز على العنصر الديموغرافي كأساس لتعريف هذه العملية من خلال الإشارة الى حجم السكان ومنه التأكيد بذلك على المدلول أو التصور الديموغرافي بشكل واضح.

- التأكيد على عدم وجود ارتباطات قائمة بين هذه العملية وعمليات التصنيع، رغم أنها عمليات شهدتها بشكل مكثف المجتمعات الغربية، حيث جاءت عمليات التحضر بها، كنتيجة حتمية لها، مقارنة بالمجتمعات النامية، والتي في الغالب من الأحيان أدت هذه العمليات إلى تضخمها، بدلا من تحضرها.

- الملاحظ من جهة ثانية أن هذا التعريف للتحضر تضمن تعريفا للمدن مستقلا عن عملية التحضر. إذ عندما ترتفع نسبة السكان القادمين من مناطق متباعدة للإقامة في المدينة، فإن التحضر يحدث بهذه الحالة كنتيجة لذلك. لكن هذا التعريف يحصر بذلك نطاق التحضر في عملية جد محدودة تتمثل في (التركز السكاني).

وفي إطار نفس هذا التصور يعرف التحضر: بأنه يتمثل في "جملة القوى والعوامل التي تؤدي إلى نمو وتوسع المدن، نتيجة تغير التوزيع السكاني الناجم عن الهجرة الواسعة من الأقاليم ذات الإمكانيات الضعيفة إلى المراكز الجاذبة. (4)

- إن هذا التعريف جاء تركيزه على عملية التحضر ذاتها، وليس على ما يترتب عليها من آثار جانبية وظروف تبعية ؛ أي تأكيد الجانب الديناميكي للعملية فقط ، دون الأخذ في الاعتبار الجانب الاجتماعي، والسلوكي (الكيفي) لها. والذي نتصور أنه يشكل جانبا لا يقل أهمية في نتائجه وآثاره عن الجانب الأول الديموغرافي (الكمي).

- كما نسجل أن التحضر وفقا لهذا التعريف يتم أو قد تتم عن طريق الخروج الريفي والزيادة الطبيعية لسكان الحضر المقيمين. أي أنها تتم إما بزيادة عدد أماكن التجمع السكاني (بعملية الضم السكاني)، أو بنمو حجم التجمعات السكانية – الزيادة الطبيعية نفسها للسكان أو بالطريقتين معا.

- ناهيك عما أكتنف التعريف الثاني من غموض بفعل إشارته للقوى و العوامل التي تساهم في عملية النمو السكاني دون تحديد لطبيعتها نصياً، مما يسمح بعدد التاويلات حولها.

أما من وجهة النظر الاقتصادية فيعرف التحضر: " بأنه يعني حركة انتقال و تحول إلى تنظيمات اقتصادية أكثر تعقيداً، أي الانتقال من حالة تقوم فيها الحياة على أساس العمل والإنتاج الأولي كالزراعة و الصيد أو غيرها من الأنشطة الأولية، إلى حالة تقوم فيها الحياة على أساس العمل الصناعي والإداري والخدماتي والتجاري .

- مما يعكس الارتباط القائم بين التحضر والتصنيع لاسيما بالمجتمعات الغربية الصناعية دون المجتمعات النامية. وهو عكس ما جاء في التعريف السابق ؛ باعتبار الصناعة- في حد ذاتها مثلما تؤكد النظرية الخلدونية، وغير الخلدونية - من "أنصار المدرسة الأمريكية" جراس" خاصة Norman Scott Brien Gras تعد ظاهرة حضرية (5). ووفقاً للتعريف المقدم إذا نلاحظ من جهة أخرى، ارتباط كلا المفهومين (التحضر والنمو الحضري) بحركة الانتقال وتحول هذه التنظيمات إلى نوع أكثر تعقيداً.

- غير أن هذا التعريف يمكننا من طرح التساؤل التالي: هل أن مجرد انتقال الناس من المناطق الريفية إلى المناطق الحضرية، ومن العمل بالأرض وغيرها من الحرف المرتبطة بها، إلى أنماط الأعمال والمهن الحضرية من إدارية وتجارية وصناعية وحكومية يجعله حضرياً؟

والإجابة تكون بالإيجاب مرة أخرى بالنسبة للمجتمعات المتقدمة الغربية، بحكم أن تحضرها الاجتماعي جاء كنتيجة حتمية لعملية نموها الاقتصادي وثورتها الاجتماعية التنظيمية، وكذا الاتصالية؛ بل إن تطورها التنظيمي الحالي تعدى مستواها المحلي إلى المستوى الإقليمي والعالمي، حيث أخذت هذه المجتمعات طريقها نحو ميلاد جديد، مما يشير إلى حجم التغير الذي بلغته هذه المجتمعات.

في الوقت الذي أصبحت فيه مدننا تعيش الأزمة إن في بنيتها الاقتصادية أو السياسية أو الثقافية، ذلك أن التحضر بها لم يرتبط بالتصنيع وبتعقيداته التنظيمية بنفس الدرجة، والمستوى بمثل هذه التحولات المذكورة. وعلى ذلك فالإجابة تكون بالسلب. وبذلك لم يتضمن التحضر ذلك الارتباط القائم بين العمل الصناعي كأساس، وعملية التحضر رغم أن هذا الأساس (الاقتصادي) يمكن الاعتماد عليه في تحديد الجوانب الأساسية المرتبطة بعملية التحضر، بل يعد هذا الأساس من المحكّات الهامة في دراسة الفروق الريفية- الحضرية، حيث يساهم في كثير من الأحيان في تعميق الفهم السوسبيولوجي للظاهرة، لكونه يتضمن إلى جانب التغيرات الديموغرافية (الكمية) ، جوانب أخرى تساعد على التحضر، إلا أنها لا تجعل من الإنسان المتنقل إلى المدينة

"حضريا" بالضرورة، مما يفرض وجود مجموعة من التغيرات الأخرى المرتبطة بالجانب السلوكي والتفكير والقيم الاجتماعية وفي الاتجاهات عموما.

- وبناء عليه يمكن القول أن "التحضر" يعني التركيز السكاني الذي ينبع في الأصل من قرار الأفراد أو الجماعات السكانية في الانتقال من منطقة ريفية إلى منطقة حضرية، أو بفعل عوامل قاهرة، وما يمكن أن يترتب عن ذلك من تغيرات في نظمها الاقتصادية والاجتماعية عموما. وهي التغيرات التي تعرف "بأنها كيفية"، مما يؤكد وجود اتجاه آخر في دراسة التحضر وهو الاتجاه السلوكي أو التنظيمي مثلما يتجه البعض لتسميته.

- إذ وفقا لهذا التصور يرى بعض علماء الاجتماع ان التحضر يتضمن حدوث تغيرات في القيم التي يؤمن بها الأفراد، كما يتضمن تغيرات في اتجاهات الناس نحو العمل (نوعية النشاط) أو الحرفة، وليست تحولات من عمل لآخر كما يبين ذلك "إدريس فالح نايف عزام" (6)، أو تغيرات في العمل نفسه.

وهو ما قد يتوفر لريفين لم يغادروا أراضيهم الزراعية، رغم أن التغير في المهنة يعتبر هو الآخر تغيرا كفيما في تحليل كل من "سوروكين و زممرمان" اللذين يؤكدان أن تغيير المهنة، يعتبر متغيرا رئيسيا يمكن أن يترتب عليه سلسلة من التغيرات الكمية الأخرى كما أوضحه "محمد عاطف غيث" في إحدى مؤلفاته وغيره من الباحثين الذين اهتموا بدراسة التحضر. (7)

- وعلى هذا الأساس فالتعريف يكمن في كونه تناول التحضر كعملية ذات اتجاه واحد، يتمثل في الانتقال إلى المدينة. في الوقت الذي لا يشترط فيه بعض الباحثين العيش في المدينة، أو الإقامة فيها كأساس للتحضر. وبالتالي الإشارة إلى الدور الذي تلعبه وسائل الاتصال في نشر الثقافة الحضرية إلى جوانب الريف. وهو ما يذهب إليه "ويرث" وفريدمان. (8)

إذ بالإمكان أن يتحضر الإنسان أو أن يتصرف بأسلوب حضري رغم إقامته بالريف، مما يعني أن التحضر يعني أيضا انتقال ملامح الحياة الحضرية، والأنماط الثقافية الحضرية وانتشارها من المدينة نحو القرية، كما يؤكد "عيد المنعم نور" الذي يرى أن التحضر يمكن أن يتم بأسلوبين، الأول وهو الذي تمت الإشارة إليه. أما الأسلوب الثاني، وهو الذي يتم عن طريق انتقال أو غزو الأساليب الحضرية الريف و قراه، بأي صورة من الصور التي ينتج عنها امتصاص لقيم و أنماط الحضرة -

مع تأكده أن التغير في الاتجاهين يسير في عصرنا الحالي بسرعة فائقة تفوق أي عصر من العصور التي مرّت بها البشرية (9). وهو ما قد لا يتفق حوله الكثير من

الباحثين. مما يبرز أهمية كبيرة للتغير في الاتجاهات، أكثر منه التغير في الواقع (المهني) للأفراد المتحضرين.

رغم أن المحك المهني يعدّ بحدّ ذاته جانبا رئيسيا في عملية التحضر، ومحددا من المحددات الخاصة بعملية التحضر. مما يكشف عن بعض الغموض في تحديد أو التمييز بين السبب والنتيجة، حيث تعتبر المدينة مصدر التحضر.

ومن هنا نلاحظ أن مفهوم التحضر قد ارتبط بمعاني كثيرة و متعددة حيث يوجد خلط بين التحضر وبعض التعريفات المرتبطة به كالنمو الحضري والحضرية والانتشار الثقافي مثلما تقدم.

ففي التلخيص الذي قدمه لوجلي صالح الزوي " في مؤلفه " علم الاجتماع الحضري " - تعرف الحضرية "بالمدينة"- أين تمّ تعريفها بأنها: " تشير إلى طريقة الحياة المميزة لأهل المدن الذين يتبعون عادة أسلوبا معيناً في حياتهم. " لكننا عند قراءة هذا التعريف لا نعثر على ما يمكننا من تحديد طبيعة هذه الحياة أو الأسلوب المعين للحياة نصياً، أي في إطار هذا التحديد الاصطلاحي للمفهوم فهو يعرف المدنية -la civilisation- " بأنها عكس مفهوم البدائية تماما. وهي كذلك عكس القبلية والهمجية، والوحشية. وهي مرحلة من مراحل التطور الإنساني بعد أن يحرز هذا الأخير تطورا أو تقدما في مختلف ميادين الحياة والعلاقات و النظم الاجتماعية والرقمي العلمي، والأدبي و الفني، الذي ينتقل من جيل إلى جيل في المجتمع. (10)

- وبذلك يكون هذا التعريف عبارة عن حصر شامل لسّمات الحضرية و التحضر بدلا من أن يتسم بالتحديد بالوضوح.- فالحضرية تعني أسلوبا أو نمطا للحياة بينما التحضر " urbanisation " يعني التركيز السكاني. وأن الاختلاف بينهما كبير، لأن الأسلوب أو النمط أمر يتعلق بالسلوك اليومي. وهو ما لم يشر إليه التعريف السابق بوضوح.

كما أن الغموض الذي اكتنف عملية التحديد جاء نتيجة لاستخدامه مصطلحات عديدة يشار من خلالها على أنها عكسية، تكون مرادفة لمصطلح التحضر والحضرية. في الوقت الذي نجد أن لكل منها معاني محددة؛ مما يؤكد ما ذهب إليه "كلايد مينشل" في أن هذه المصطلحات غالبا ما تستخدم الواحد منها بدل الآخر (11). ويرجع بعضهم هذا الخلط إلى عمليات التحليل والتفسير التي يذهب إليهما بعضهم عند معالجة هذه الظاهرة. فمدلول " المدنية" في المعجم الوسيط تعني: الحضارة واتساع العمران، وهو مصطلح يصف أكثر الجانب المادي لأي حضارة من الحضارات . ونقول "مجتمع مدني" وهو مصطلح له مدلولاته التي لها علاقة بالموطن والمجتمع و الدولة. (12)

ووفق تحديد "Sanders" فالتحضر ظاهرة تدعو الناس إلى ترك الأرياف والتوجه للمدن وتكوين علاقات جديدة تسمح لهم باحتلال مراكز جديدة؛ بينما يرى من جهة أخرى أن للتحضر مصطلحه الآخر "urbanisme" أي الحضريّة، وتعني بقاء الناس في قراهم وأخذهم بأساليب المدينة والتحضر بتقبلهم للنسق القيمي الحضري الذي يؤثر في نظرتهم نحو تدرجات المكانة لديهم، مما يساهم في التخلي عن أدوارهم التقليدية وممارسة أدوار جديدة. (12)

- ونستنتج بذلك أن هذا التعريف إذ استخدم مصطلح التحضر كمرادف من جهة لمصطلح النمو الحضري .

- كما نلمح وجود تداخل بين مفهوم الحضريّة، و بين الانتشار الثقافي للثقافة الحضريّة من المدينة نحو الريف أو البادية؛ باعتبار أن عملية النمو الحضري تختلف عن التحضر في كون أنها نتيجة مادية له، تنعكس على المدينة بحدودها الطبيعية. وهو توجه "يتوافق مع ما يذهب إليه كلا من"روبرت وولف،" و"فريدمان" في تصور الحضريّة كعملية لانتشار الخصائص الحضريّة خارج حدود المدن. (13)

- إلا أن الحضريّة ليست وجهاً آخر من وجوه التحضر حسب ما جاء في تحليل "ساندرز"، بل الحضريّة هي نتيجة كيفية له، إن لم تكن هي كذلك. (14)

فالتصور هذا، يجعل المدينة سبباً للتحضر بدلاً من اعتبارها نتيجة له. كما انه لا يفسر في نظر العديد من المتخصصين السوسولوجيين نشأة المدن وتطورها.

ووفقاً لتأكيدات الباحثين بما فيهم "جرالد بريز، فإن التحضر يعد عبارة عن عملية التحول إلى حضر، بالانتقال إلى المدن، والتحول من الزراعة إلى غيرها من المهن الشائعة في المدن وما يرتبط بذلك من تغيير في الأنماط السلوكية. (15)

وهو الاتجاه الذي يؤكد " Petermann " ، حيث يعرف ظاهرة التحضر: " بأنها عملية اجتماعية يقوم الفرد خلالها بالهجرة من الريف إلى المدينة والتكيف والتطبع بأخلاق وعادات وسلوكات أبناء المدن، وتقبل أسلوب الحياة وأنماط العلاقات الاجتماعية الموجودة بها، وكذا الخضوع للقوانين وأنظمة مؤسساتها وتشكيلاتها الاجتماعية. (16)

وبذلك يشير كلّ منهما إلى أن التحضر يعد عملية تغيير كمّي، وكيفي في آن واحد. كما أنه يؤدي إلى تغييرات أو تحولات كبيرة في خصائص وسمات، ووظائف المجتمعات المحلية الحضريّة، دون أن يتم شرح الكيفية التي تتم بها كعملية.

وبناء على ما سبق يمكننا أن نقدم الملاحظات العامة حول التعريفات المطروحة، إذ ندون مجموعة من العناصر التي اشتركت فيها هذه الأخيرة وهي كالآتي:

تلخيص عام لبعض الملاحظات حول المفاهيم المقدمة:

أولاً: كل تعريف من هذه التعريفات تناولت بالتحديد جانباً من جوانب الظاهرة مما يثير صعوبة معينة في التوصل إلى التعرّف على الظاهرة بمختلف جوانبها وفي شموليتها.

ثانياً: تعريفات عالجت عملية التحضر بشكل عام و غير محدد، مما يحول دون التعرف على معالمه كعملية أو كموضوع.

ثالثاً: تعريفات ظهر فيها الكثير من الغموض بل والخلط بين المصطلحات، كالتحضر والحضرية، والنمو الحضري، وعملية الانتشار الثقافي.

رابعاً: تعريفات عالجت التحضر من جانبه الديناميكي الكمي (الديموغرافي)، دون وجود أي نصّ واضح بالتعريف، لجانب التحضر الكيفي أو الإشارة إليه أحياناً لكن بشكل غير صريح. مما يؤثر على التناول العلمي للموضوع أو الظاهرة، كما يطرح أحياناً للباحثين بعض الصعوبات المتعلقة بالقياس الإحصائي للظاهرة، رغم وضوحه كتصور منهجي لدراستها وتحليلها.

في الوقت نفسه عالجت تعريفات أخرى عملية التحضر من جانبه الكيفي مما قد يساهم في تحليل جوانب الظاهرة سوسولوجياً، وبالتالي تحديدها كمفهوم؛ غير أن ذلك يطرح بعض الصعوبات للباحثين لاعتمادها على معطيات غير قابلة نسبياً للتحقق الإمبريقي، رغم أن كلا البعدين الديموغرافي، والسوسولوجي يعتبران جانبيين مكملين لبعضهما البعض.

خامساً: وردت تعريفات عالجت بعض خصائص الحياة الحضرية كجمال للتحضر، كما لو كانت محددات للتحضر كعملية اجتماعية، دون الإشارة إلى بعض جوانب التغيرات الأخرى المصاحبة له وكذا العمليات المرتبطة به.

وبناء عليه يمكن القول أن التحضر يمكن أن يوصف بأنه: العملية التي تصبح الحضرية أسلوباً مميزاً للحياة - وهذه العملية تتضمن مجموعة من المؤشرات والخصائص التي يتمّ التحول إليها كعملية اجتماعية. إذ يتم انتقال الأفراد عن طريق الهجرة إلى المراكز الحضرية، و تحولهم من العمل الزراعي إلى مهن أخرى أكثر ملاءمة لحياة المدينة. وتأثر هؤلاء إثرها ببعض المؤثرات الجديدة بالنسبة للشخص المتبني لهذا الأسلوب المعيشي الجديد أو للجماعات الاجتماعية، والتي تظهر في أنماط سلوكهم. وعلى ذلك يمكن اعتبار الحضرية بمثابة عملية تكيف مع الحياة الجمعية بطريقة يتلاءم من خلالها الشخص أو الجماعة ليصبح فرداً حضرياً أو جماعة حضرية.

ثانياً : العمليات الاجتماعية الأساسية المصاحبة للتحضر:

إنه وبناء على ما تقدم من تحليل للتعريفات المدرجة، فإن عملية التحضر هي نتاج عمليات أساسية ينتج في تكاملها إطارا متكاملًا لهذه العملية الاجتماعية، ندونها باختصار كالاتي:

أ- **عملية الحراك الفيزيقي-الجغرافي للسكان** :- من الريف إلى المدينة خاصة في ظل تطور وسائل النقل الحديثة، مما يساعد على تسريع هذه الحركة نحو المدن نتيجة لما يعرف بـ la mobilité spatiale.

ب- **عملية التمرکز في المدن وما يرتبط بها من حراك مهني**: إذ يعد هذا العامل أحد الأطر الأساسية التي تساهم في تحديد الطبيعة الاقتصادية والتخصّصية لهذه البيئة. مما يمكن الباحثين من تحديد مدى إسهامها في تغيير صور الإنتاج لدى الوافدين إليها، ودور كل ذلك في إحداث التغيرات على طبيعة السلوك الإنساني الناجم عن هذا التحول.

ج- **عمليات التكيف التدريجي للسكان طبقا لشروط الحياة الحضرية وما يظهر من تغيير في أنماط السلوك المقيمين حضريا** :

د- **هذا إلى جانب أن مفهوم التحضر يرتبط بالأساس بالبعد المكاني**: وعليه فإن القيم التي ترتبط به غالبا ما تتأثر بهذا البعد. فالمجال الحضري ليس مكانا بالمعنى الجغرافي، أو الاقتصادي حسيما أو ضحنه في ثنايا هذا العمل، وإنما هو في الأصل **مكان اجتماعي** تنشأ في ظله العلاقات الاجتماعية بين سكانه. سواء أعلق هذا السلوك بالفرد أم الجماعات المتحضرة - مما يساعد الباحث على دراسة- سمات الفرد المتحضر، أو سمات الجماعة المتحضرة. سواء أكانت أسرة أم جماعة اجتماعية أم مجتمعا محليا.

هـ- **العملية السيكولوجية المتمثلة في الاتجاه نحو الفردية**: نتيجة لانقسامية هذه العلاقات التي تربطه كفرد بالأخرين و بحكم ظرفيتها ومنه انعزاليتها. (17)

ثالثا: أبعاد التحضر كعملية اجتماعية:

وبالاستنتاج من كل ما تقدم فإن التحضر يشتمل على البعدين التاليين :

البعد الأول: يتم بموجبه الانتقال من الحياة القروية إلى حياة المدينة - يتم إثرها خضوع الفرد للحراك المهني وما يرتبط به من تغيرات في المستوى المعيشي للأفراد المقيمين بها.

البعد الثاني: وكنتيجة للبعد الأول يتم تبني الفرد المقيم حضريا الأسلوب الخاص بالحياة الحضرية - وتصبح بذلك الحضرية مؤشرا من المؤشرات الدالة على حدوث التغيير الاجتماعي، والثقافي. أو مثلما تؤكد "فاديه عمر الجولاني" أن التحضر يشتمل على ركيزتين أساسيتان أو جانبين أحدهما ديناميكي "والآخر بنائي إستاتيكي"، يتمثل الأول في التحضر، والثاني في الحضرية، وتعكس الطابع المميز للمجتمع المحلي

الحضري أو الأسلوب الخاص الذي تتسم به طريقة الحياة" في المجتمع الحضري، وفي نفس الوقت تصبح من العوامل المؤدية إليه . فالتحضر وفقا لما تم إيضاحه هو عملية و نتيجة في الآن معا. (18)

وهكذا نخلص بناء على ما سبق إلى تلخيص يتناسب وموضوع هذه المقالة والهدف منها، والتي تنظر إلى أن مفهوم التحضر كما هو في مجتمعاتنا العربية و في الجزائر بالذات يختلف عن مفهوم بعض الدارسين الذين ينظرون إلي التحضر وكأنه عبارة عن عملية انتشار للثقافة الحضرية التي تنتهي إلى حالة تسود فيها تلك الثقافة في القطاعات غير الحضرية، بفعل إشعاع البيئة الحضرية للأفكار والخبرات الحضرية السلوكية نحو تلك المناطق بحيث يتم تمثّلها، والتكيف مع الأنماط الحضرية الوافدة إليها، مما يفضي إلى القضاء التدريجي على العناصر الثقافية التقليدية، بحيث تصبح عملية التحضر مرادفة بذلك لعملية الانتشار الثقافي من البيئة الحضرية نحو الريف أو ما يحيط بها من أطراف. لتنتهي بذلك وبالتدريج، إلى حالة من التكيف الجماعي مع الجديد سواء توفرت إلاقامة الحضرية في المدينة أم لا. وهو ما لا تتجه إليه الدراسة بهذه الورقة البحثية.

فالتحضر إذا: هو عملية أساسية من عمليات التغيير الاجتماعي التي يتم بموجبها أو عن طريقها انتقال أهل الريف أو البادية إلى المدينة وإقامتهم بمجتمعها المحلي. أو هو بمثابة إعادة توزيع السكان من الريف إلى المدينة. وهي بذلك عملية يكتسب من خلالها الأفراد طريقة وسلوكا وسمات تميّزهم عن غيرهم، نطلق على هذه المميّزات "الخصائص الحضرية" التي تتميز بالتغير السريع سواء من حيث الحركة السكانية، أو من حيث التغيير في النظم الاقتصادية، وقد تكون اقل سرعة فيما يتعلق بالنظم الاجتماعية، أو من حيث التغيير في القيم والعادات والنظرة إلى الحياة مثلما أشار إلى ذلك "بيترمان" في موضع سابق وأكدته النظرية الورثية: "الحضرية كطريقة في الحياة" التي نشرها سنة 1938. (19) حيث عرف الحضرية بأنها تشير إلى أشكال الفعل والتنظيم الاجتماعي التي تظهر بصورة منظمة في التفاعل المستمر نسبيا للمناطق ذات الأعداد الكبيرة من السكان المتباينين، هذا الحجم السكاني يخلق تنوعا كبيرا في العلاقات الاجتماعية الاولية وما يمكن أن يترتب عليها من ظواهر (20). والتحضر بناء على كل ذلك إذا، يعرف بأنه عملية و نتيجة في آن واحد.

وهو ما يتفق وتعريف "بريز" الذي يؤكد ضرورة تناول السوسولوجي لظاهرة التحضر في بعديها الكمي و الكيفي. إلا أننا لم نعر في تعريفه على أي توضيح أو إشارة نهدي بها لتحديد البداية والكيفية التي تتم بها عملية التحضر كعملية تغير كمي وكيفي معا.

رابعا : المدخل المتعدد كافتراح منهجي لتحليل ظاهرة التحضر (كعملية اجتماعية):

إذا كانت التعريفات المحددة لمدلول التحضر كمفهوم تعددت لغويا واصطلاحا، فإن تناولها المنهجي هو الآخر لا يكاد يخرج عن هذا الإطار أو القاعدة المنهجية في كثير من الأحيان مما يفرض على الدارس لهذه الظاهرة (التحضر كعملية) ضرورة تناولها العلمي من زواياها المتعددة . بل إن هذا الاتجاه يكاد يفرض نفسه كسبيل وحيد لتحقيق الفهم الشمولي للظاهرة، لكونه السبيل الوحيد لإيجاد الارتباط القائم بين مكونات هذه الظاهرة، بحيث تنصهر مع بعضها لتكشف عن طبيعتها (المعقدة). إذ الأمر يستلزم دراستها بشكل متكامل لا ترى فيه العناصر المكونة لها بقدر ما تتناول ككل. ومنه التخلي عن إطار التحليل الجزئي في مجال دراسة ظاهرة التحضر – الحالية. إذ وفقا للمقترح "الورثي المنهجي" (21) لتحليل ظاهرة التحضر يمكننا الاستعانة بالأبعاد الأساسية المشار إليها سلفا، وفقا للتحليل المفاهيمي لمدلول التحضر كعملية اجتماعية، باعتبارها عناصر مشكلة "الكل حضري متكامل، ترتبط مع بعضها بعضا، ارتباطا الأسباب بالنتائج و العكس صحيح. وفقا للمخطط البياني التالي :

التحضر: ← إلى الحضرية (كنتيجة نهائية لعملية التحضر) وهي أي الحضرية ← بدورها تعطي عملية التحضر ذاتها ← معناها الكيفي في النهاية.
الحضرية: عبارة عن نتيجة كيفية لعملية التحضر ← بينما النمو الحضري هو ← النتيجة الكمية له

وبتعبير آخر إذا أمكننا اعتبار التحضر عبارة عن فعل يقوم به فرد أو جماعة ، والمهاجرين من الريف إلى المدينة وما يترتب عليه من حراك مهني، والذي بدوره يؤسس لحراك اجتماعي يمس أدوار أو مكانات هؤلاء الأفراد. وبالتالي أنماط سلوكهم كفاعلين اجتماعيين؛ فإنه يمكن اعتبار ردّ الفعل لذلك على أنه يتكون من قسمين كما أوضحها إدريس فالح نايف عزام. (22)

- أ- رد فعل كمي: يتمثل في التحضر، ويبدو من خلال الحدود الطبيعية للمدينة.
 ب- رد فعل كيفي يتمثل في الحضرية، ويبدو من خلال سيادة أنماط الحياة الحضرية على سلوك وتصرفات، وأنماط التفكير والاعتقاد للمتحضرين.
 ج- أما المدينة : فهي المجال الطبيعي والوحيد لهذه العمليات (23). تتميز بخصائص إيكولوجية تحدد بناء عليها بعديها المشار إليهما كما تتحدد بهما. ومنه يتوجب علينا أن نحدد مدخلنا كالاتي:

1 - إن تناول المنهجي المقترح لمعالجة موضوع التحضر كعملية اجتماعية يؤدي بنا للقول بأنه من المناسب أن نعيّن اتجاهنا من حيث مشتملات النظرة إلى التحضر بكونه عملية اجتماعية تتم على أساس بعدين أساسيين كمي وكيفي.

2- ونشير بالرغم من ذلك إلى إمكانية تناول هذا الموضوع إمّا من جانبه الكمي ذي الطابع الدينامي لعملية التحضر- والتركيز في دراستها وكموضوع، أو كوحدة للتحليل السوسولوجي.

3- أو تناوله من الجانب الكيفي لعملية التحضر- وكمحور يتم تسليط الضوء عليه كمحور أساسي للموضوع المعالج، بالنظر لما يشمله من تغيّر في الأنماط السلوكية - إثر الإقامة الحضرية الدائمة للسكان الحضرية. مما يؤدي إلى سيادة نمط للحياة متميز عن غيره من أنماط الحياة الاجتماعية الأخرى. رغم أن المداخل السابقة الذكر ليست هي كل ما يمكن أن نتوصل إليه نظرياً في دراسة المجتمع الحضري.

إلا أن إبرازها كأبعاد يمكن أن تحقق للدارس الفهم الشمولي للظاهرة، إذ يفرض بذلك هذا التناول اعتماد الجوانب المشكلة لديناميات الواقع المدروس. ولتحقيق هذا الفهم السوسولوجي للظاهرة يمكن النظر إليها على أنها نسق يتكون من مجموعة من الأبعاد المتداخلة، و المؤثرة، والمتأثرة بعضها ببعض، سواء في بعدها الإيكولوجي، أو الديموغرافي، والاجتماعي، والقيمي الثقافي والسيكولوجي وهكذا... وفقاً لتوجهات الباحث ومتطلبات البحث. ومنه الاستعانة بمداخل النظرية المعروفة في هذا العلم المتخصص، والتي من شأنها أن تساعد على تفسير التنظيم الاجتماعي للمجتمع الحضري سواء في نسقه الإيكولوجي أو الديموغرافي أو الاجتماعي والثقافي أو السيكولوجي وغيرها.

- مع أننا نشير إلى إمكانية استخدام الباحث إحدى هذه المداخل كإيكولوجية أو الديموغرافية، أو القيم الثقافية والاجتماعية كمتغيرات مستقلة لمحاولة تفسير بعض وجوه هذا البناء الاجتماعي كل على حدا؛ مع الإشارة إلى إمكانية أن تختلف هذه الأبعاد في الدراسة باختلاف وتباين اتجاهات الباحثين. وهو ما يمكن أن يطرح بعض الصعوبة في تناول المنهج للموضوع الذي يتمثل في ظاهرة التحضر كعملية. وذلك يعود لأسباب موضوعية ترتبط بمجموعة من الاعتبارات ذات الصلة بطبيعة التحضر كموضوع: والتي تمتاز بها عملية التحضر نفسها ويمكن تلخيصها فيما يلي: (24)

أ- كونها من عداد عمليات التغير الاجتماعي المعقدة التي تشمل جوانب كثيرة تصعب الإحاطة بها في آن واحد إلا في ضوء نظرية متكاملة، وهو ما يفتقر إليه هذا النظام العلمي لغياب إطار نظري موحد أو نظرية متكاملة يمكن أن تغطّي الموضوع بعمامة. وهو ما حال ويحول دون وجود نظرية للتحضر تفسّر كعملية وذلك لاعتبارين:

- أن عملية التحضر كمصطلح أو كعملية تأخذ طابعاً نسبياً إلى حد كبير - لاختلافها باختلاف المجتمعات الإنسانية - مجتمعات متقدمة - ومجتمعات نامية؛ لعدم تطابق نتائجها البحثية مع تلك الخاصة بدول العالم النامي. لذلك تطرح صعوبة الاستفادة منها في مجال استخدام تصوراتها البحثية والاستعانة بها لدراسة هذه المجتمعات من جهة.

- ومن جهة أخرى فإن هذا العلم حتى وقتنا هذا ظلّ يفتقر لمناهج علمية واضحة للقياس السوسولوجي لتوفر هذا العلم على عدد قليل من المؤشرات الكمية التي يمكن اعتمادها لقياس الظاهرة الحضريّة، فضلا عن نسبتها بالنسبة للمجتمعات هذه سواء، المتطورة أو الخاصة بالمجتمعات التامية، وهو ما يحول دون التوصل لتحديد مقبول لما نقصده "بمفهوم التحضر وغيره من المفاهيم الأساسية بهذا العلم بحكم خاصية النسبية هذه. أي اختلاف هذه المجتمعات تاريخيا، واجتماعيا، و تكنولوجيا، وثقافيا، مما ساهم ويساهم في ظهور اتجاهات متباينة لدراساتها. انه ووفقا لنماذج التحليل المقترحة حول الظاهرة بتلك المجتمعات المتطورة تمت معالجة الظاهرة كالآتي:

1- تم تناولها أولا وفقا للتصور الذي يفترض وجود قطيعة بين العالم الريفي

والحضري.

2- تم الانتقال إلى النموذج الذي يتصور أو يفترض وجود اتصال

"continuum" بين العالمين.

3- تم الانتقال إلى التصور الذي يفترض وجود سيطرة كلية للعالم الحضري على

العالم الريفي خاصة في ظلّ التحول الذي يعرفه هذا العلم، لتطوره إلى علم تجريبي على يد رواد المدرسة الأمريكية مدرسة "شيكاجو". إلى جانب التحولات العالمية بفعل سيطرة العولمة اقتصاديا، وثقافيا. حيث لم يعد المجال يسمح في إطار هذه الدراسات، الحديث عن ثنائية ريف- مدينة. إذ أن الاقتصاد الدولي الجديد أنتج هندسة متغيرة للإنتاج والاستهلاك، والعمالة وإدارة رؤوس الأموال، والمعلومات. هذه الهندسة تنكر المعنى الخاص لأي مكان يقع خارج موقعه. وعلى ذلك يتوجب على هذه المجتمعات استبدال فكرة التمييز بين الريف والمدينة- بفكرة شبكات التفاعلات خاصة في ظلّ السياسات الرأسمالية التي تقوم على مبدأ "دعه يعمل دعه يمر"، وكشعار لتحقيق تنمية مجتمعاتها. مما أدى إلى انهيارها كفكرة - لتقلص المكان وتداخل الحدود بين الريف والمدينة.

إذ لم يعد هناك مجال لوجود مصطلح ريف- مدينة بل وحسب تحليل " Henri

Lefebvre" و" Keyser" يمكن الوقوف على ترتيب لهذا العالم الذي هو الريف" إلى

أنماط متباينة، منها نمط "ريف عميق أو ما يسميه « le rural profond" و"ريف نصف زراعي"، و"ريف متحوّل"، وآخر "راكد"، وإلى "ريف - بين الحاليتين"- أي نصف متحوّل.

مما يكشف لنا عن تنوع في تركيب هذه التشكيلات، وفقا لدرجة تفاعلها مع الحياة الحضريّة فيما يخص مجالها، ونشاط سكانها، و تفاعلها الثقافي الذي أصبح إختراقه لهذا المجال الريفي لا حدود له، بفعل تكنولوجيا الاتصال والرقمنة الحديثة.(25)

الأمر الذي حال دون وجود مجال للحديث عن ريف" - مدينة"، أو حضري خالص" وريفي خالص" بل وجود خليط منهما.

في الوقت الذي ظلّ فيه هذا الخليط بارزا في الدول النامية خاصة بمراكز المدينة المتروبوليتانية"، مثلما أشار إلى ذلك "محمد ياسر الخواجة" في إحدى مؤلفاته (26)، نتيجة تشابك العلاقات القائمة بين المجتمعين الريفي والحضري، وما أحدثه من ظواهر تريف المدينة وأحيانا تحضر نسبي للريف .

الخاتمة

إن هذا العمل لا يسمح لا بالتوسع أكثر للتعلم في عديد القضايا التي يطرحها مفهوم التحضر" إلا انه وتقيداً بمنهجية العمل الذي تفرضه علينا هذه الورقة البحثية يمكننا تلخيص ما يلي:

1- إنه وبناء على ما تقدم لقد استقرّ لدينا أنه إذا كان التحضر في البلدان المتقدمة عبارة عن نتيجة طبيعية ناجمة عن تطور تكنولوجي واجتماعي، ترتبت عنه نتائج ارتبطت ولا تزال، بأنماط جديدة للثقافة الحضرية، أو كأسلوب للحياة بها، وبالتالي فإن دراسته سواء أكانت كمفهوم أو كعملية لا تطرح بنفس الغموض والتعقيد واللبس الذي لمسناه في المجتمعات غير المتقدمة، حديثة التحضر بالعالم النامي.

2- إن التحضر الحديث الذي خبرته هذه البلدان ظلّ غير طبيعي ومشوش لكونه ارتبط بالغزو الاستعماري وعمليات التحديث السريعة وبما عايشته هذه البلدان من مشاكل وإختلالات ، مما يفرض توخي الحذر عند تحديدها المفاهيمي، ذلك أن تحديد المفاهيم ووضع التعريفات واتساق القضايا يشكل في حدّ ذاته جزءاً من التحديد النظري لأي بحث، مما يكشف أهميتها في أي نسق علمي.

3- إن هذا التدقيق بالنسبة لمجتمعاتنا ليس فقط من أجل تعميق الفهم العلمي لأبعادها كظاهرة سواء من حيث النشأة أو عوامل ظهورها وتطورها التاريخي ، بل بالنظر لما تنتجه من إمكانية للباحث لرسم التوقع المحتمل لها ولنموها كظاهرة مستقبلا، لاسيما في ظلّ تأثيرات العولمة، بهذه المجتمعات التي لم تتضح بعد بها بعض ملامح هذه العملية على فضائها الحضري.

وعند هذا الحد يمكننا القول أنه إذا كان المجتمع الحضري المعولم أصبح من الظواهر الاجتماعية المعاصرة فإنه يظلّ مرتكزا بالأساس على جانبيين أساسيين. (26)

يتمثل الجانب الأول منه: في الجانب الديناميكي الذي ينعكس في عملية التحضر التي شرحناها، فيما يمثّل جانبه الثاني، الجانب البنائي: الذي يتمثل في الحضرية التي تمثل طريقة وأسلوب الحياة الحضرية الثابتة نسبيا، والتي تخضع كتجربة إنسانية

ومجتمعية لعنصري الزّمان والمكان كمتغيرين أساسيين يكسبانها طابعها الخاص بالنسبة لكل مجتمع لكنها كظاهرة اجتماعية ليس لديها خصائص عامة ذات شمول.

الهوامش

¹ - فادية عمر الجولان علم الاجتماع الحضري ، مركز الاسكندرية للكتاب -سلسلة الكتاب الجامعي، 1998، ص 42.

* - **التعريف اللغوي للتحضر** يشير إلى:

حضر(حضر-حضور-وحضارة-ضد غاب .حضارة أقام في الحضر الحضر-والحضارة-والحاضرة-القرى-والأرياف-والمنازل-المسكونة. فهي خلاف البدو والبدواة والبادية - الحضارة.الإقامة في الحضر .المدينة. ويضيف المنجد إلى مادة حضر كلمة تحضر .وذلك في ذكره :أن البدوي تشبه بأخلاق الحضر فتحضر... ويعني بالحضر عموما كل استقرار حققه الفرد في مكان ما بشرط أن يكون لأمد بعيد.

ومن ثم كان مصطلح البداوة يعني ضيق السعي من مكان لآخر وراء المرعي. وإذا كان الاستقرار بمراكز عمرانية- حضرية كانت أم ريفية هو نقيض البداوة، فان ذلك يؤكد على أن القرية و الريف يدخلان ضمن مفهوم الحضر. ويضفي ذلك تعقيدات شتى على التمييز بين الريف والحضر التي لم تزل محل نقاش أكاديمي مستفيض. ولقد ورد في لسان العرب المحيط² أن لفظ "حضر" من الحضور نقيض الحضور الغياب . والحضر خلاف البدو. ويشق من الحضر الحاضر أي المقيم سواء في المدن أو القرى. في مقابل البادي أي المقيم في البادية. والحضر، والحضري، والحاضرة خلاف البادية. ويشير "محمود الكردي" في أحد مؤلفاته أن هذا المنجد يضيف إلى مادة كلمة تحضر وذلك في ذكره أن البدوي تشبه بأخلاق الحضر فتحضر.

ويعني بالحضر عموما كل استقرار يحققه الفرد في مكان ما بشرط أن يكون لأمد بعيد. ومن ثم كان مصطلح البداوة يعني بمعناه الضيق، السعي من مكان لآخر وراء المرعي. أما الحضرية فهو الاتجاه نحو سكن المناطق الحضرية وتعميرها، والعمل على توسيع نطاقها. وهو اتجاه عالمي وليس قاصرا على منطقة بعينها رغم ما تتسم به من تفاوت في الدرجة والمستوى.

وبذلك فان التحضر في اللغة كمفهوم، يشير وبشكل واسع إلى الحضر والحاضرة وهي المدن والقرى والريف. سميت لان أهلها حضر. والأمصار ومساكن الديار التي تكونت لهم بها قرار. والحضارة الإقامة في الحضر. كما أن البداوة والإقامة في البادية والحاضر ضد المسافر. والحاضر المقيم في المدن والقرى. والبادي المقيم في البادية. وفلان حاضر بموضع كذا أي مقيم. وبالتالي يتضح من لفظ الحضر لغة انه يتمثل في الإقامة والاستقرار الدائم في الأمصار والمدن والقرى والريف وما يصحب ذلك من احتراف السكان بحرفة تكفيهم في معيشتهم على الدوام كالتجارة، والزراعة، والصناعة.

غير أن ابن خلدون في فهمه لمسألة الحضر يرجعها إلى مصدرها الأساسي أو اشتقاقها اللغوي المأخوذ من "الحاضرين". الذي يعني الاستقرار في المكان بصورة دائمة زائد أنهم لا يهتمون بالزراعة إلا من ندر منهم.

- وعموما إذا كان هذا التعريف اللغوي لمفهوم التحضر في اللغة العربية، فإنه و في اللغات الأجنبية فلقد كان من النادر استخدام كلمة "حضري" Urbanus في اللغة الانجليزية فيما قبل القرن التاسع عشر . وتشير كلمة الحضر "urbs" في اللاتينية إلى الاصطلاح الذي كان الرومان يستخدمونه للدلالة على المدينة وخاصة مدينة روما. وقد تضمن قاموس أكسفورد المختصر تعريفا لها بأنها كل ما يتصل بالمدن أو حياة المدينة.
- 2- منجد الطلاب: دار المشرق-ش.م.م الطبعة البيروت -لبنان 1982ص 167.
- المنجد في اللغة والعلوم والآداب .المطبعة الكاثوليكية طبعة 9 بيروت .د.س) ص 13. في مؤلف محمود الكردي ص30.
- 3- ابن منظور .لسان العرب المحيط.دار لسان العرب -بيروت دون سنة نشر ص659
- 4- محمود الكردي -التحضر -دراسة اجتماعية .الكتاب الأول والقضايا والمناهج -ص30.
- 5- عبد الحميد بوقصاص:النماذج الريفية والحضرية للمجتمعات العالم الثالث في ضوء المتصل الريفي الحضري -مخبر التنمية والتحويلات الكبرى في المجتمع الجزائري، جامعة باجي مختار عنابة ، ديوان المطبوعات الجامعية قسنطينة ص101.
- 6- محمد بومخلوف التحضر وواقع المدن العربية في مؤلف جماعي - دراسات في المجتمع العربي المعاصر - تحرير خضر زكريا - الأهالي للتوزيع-دمشق- سوريا ، 1999 ، ص 100.
- موسوعة العلوم الاجتماعية ترجمة "عادل الهوا ري مسعد مصلوح"- مكتبة الفلاح - الكويت 1995- ص ص 742-743 .
- 7- إسحاق يعقوب قطب وأبو عياش الاتجاهات المعاصرة و الدراسات الحضرية ، جامعة الكويت 1979 ، ص99.
- 8- عبد العزيز بودن ، النمو الحضري و المفاهيم المرتبطة به، في مؤلف : مجلة العلوم الإنسانية ، جامعة منتوري قسنطينة ، الجزائر ،العدد 23 ، جوان 2005 ، ص 62.
- 9- ادريس فالح نايف عزام ،التحضر و أثره في الأسرة الأردنية ، دراسة ميدانية جامعة اربد ، الأردن، 1975، ص 8.
- 10- عاطف غيث علم الاجتماع الحضري مدخل نظري دار المعرفة الجامعية الإسكندرية 1988، ص ص 82-79.
- 11- عبد العزيز بودن، مرجع سبق ذكره ص 66.
- 12- عبد المنعم نور؛ الحضارة والتحضر- دراسة أساسية لعلم الاجتماع الحضري - مكتبة القاهرة الحديثة الطبعة الأولى 1970 ، ص 56.
- 13- لوجلي صالح الزوي ، علم الاجتماع الحضري، منشورات قار يونس - ط الأولى ، 2002 ، ص 31.

- 14- جيرالد بيريز - مجتمع المدينة في البلاد النامية - دراسة في علم الاجتماع الحضري، ترجمة د. محمد الجوهري، 1998، ص 30.
- انظر في ذلك متروك الفالح، المجتمع والديمقراطية و الدولة في البلدان العربية - دراسة مقارنة لإشكالية المجتمع المدني في ضوء تعريف المدن مركز دراسات الوحدة العربية بيروت 2002، ص ص 9-27.
- 15- Sanders Irwin ,Approach to social change in bennai and others /the planing Chang-ed holtrinhart & Winston N ,Y :1962 in مؤلف د.ادريس فالح نايف عزام ، مرجع سابق، 9.
- 16- جون فريدمان، وروبرت وولف،التحول الحضري،ترجمة إدريس القزتم، احمد الربايعة، الجامعة الأردنية 1979، ص 12 في مؤلف : بودن عبد العزيز في مؤلف مجلة العلوم الإنسانية، مرجع سبق ذكره ، ث 66.
- 17- إدريس فالح نايف عزام، مرجع سابق، ص 9.
- 18- جيرالد بيريز التحضر في البلاد النامية ، دراسة في علم الاجتماع الحضري ، مرجع سبق ذكره ، ص 35.
- 19- احسان محمد الحسن، التصنيع وتغير المجتمع ، دار الرشيد للنشر، بغداد 1981 ، ص70.
- 20- محمود الكردي، التحضر و دراسة اجتماعية، الكتاب الأول، القضايا والمناهج، دار المعارف 1986 ، ص127.
- 21- محمد بومخلوف، التوطين الصناعي وقضايا المعاصرة الفكرية والتنظيمية والعمرانية والتنمية ، التحضر دار الأمة للطباعة والتوزيع ط 1 ، ص23 ، بتصرف طفيف.
- 22- فادية عمر الجولاني ، مرجع سابق ، ص 46.
- 23- Jean Remy et Liliane Voye, La ville et l'urbanisation; modalités d'analyse sociologique- édition duculot , 2007,p 189.
- 24- وجدي شفيق عبد اللطيف، علم الاجتماع الحضري والصناعي، دار ومكتبة الإسراء للطبع والنشر والتوزيع، 2007، ص75.
- Wirth propose trois perspectives d'analyses .partant de là, il propose trois perspectives différentes mais inter reliées ; pour analyser empiriquement une ville :une perspective écologiques .une analyse de la ville en tant que forme d'organisation sociale , et une analyse de la personnalité urbaine et comportement collectif ,in jean Rémy Liliane Voye - la ville et urbanisation op.cit., p p 188 -192-
- 25- متروك الفالح، مرجع سابق، ص14.
- إدريس فالح نايف عزام ، مرجع سابق ، ص 14.
- إدريس الفايف عزام ، المرجع نفسه ، ص 21.

- Anne Rolin- anthropologie urbaine - Armand colin /ed uef,paris 2002 pp 70-71

- وجدي شفيق عبد اللطيف ، علم الاجتماع الحضري و الصناعي ، دار و مكتبة الاسراء للطبع و النشر و التوزيع ، 2007، ص49

26- فادية عمر الجولان، مرجع سابق ، (ص45)

المراجع

1. المنجد في اللغة والعلوم والآداب، المطبعة الكاثوليكية طبعة 9، بيروت.د.س.ن ، في مؤلف محمود الكردي.
2. ابن منظور ، لسان العرب المحيط، دار لسان العرب، بيروت، دون سنة نشر.
3. منجد الطلاب، دار المشرق، ش: م.م الطبعة بيروت، لبنان 1982.
4. عبد الحميد بوقصاص، النماذج الريفية والحضرية لمجتمعات العالم الثالث في ضوء المتصل الريفي الحضري، مخبر التنمية والتحويلات الكبرى في المجتمع الجزائري، 2001.
5. موسوعة العلوم الاجتماعية ترجمة "عادل الهواري مسعد مصلوح"، مكتبة الفلاح ، الكويت 1995.
6. إسحاق يعقوب قطب وأبو عياش ، الاتجاهات المعاصرة والدراسات الحضرية ، جامعة الكويت 1979 .
7. مجلة العلوم الإنسانية، جامعة منتوري قسنطينة الجزائر ، عدد 23، جوان 2005.
8. عاطف غيث، علم الاجتماع الحضري مدخل نظري، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية 1988.
9. عبد المنعم نور، الحضارة والتحضر ، دراسة أساسية لعلم الاجتماع الحضري، مكتبة القاهرة الحديثة الطبعة الأولى، 1970.
10. لوجلي صالح الزوي ، علم الاجتماع الحضري، منشورات قار يونس - ط الأولى سنة 2002.
11. جيرالد بيريز ، مجتمع المدينة في البلاد النامية ، دراسة في علم الاجتماع الحضري ، ترجمة د. محمد الجوهري 1998.
12. متروك الفالح، المجتمع والديمقراطية والدولة في البلدان العربية ، دراسة مقارنة لإشكالية المجتمع المدني في ضوء تريف المدن، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2002 .

13. إدريس فالح نايف عزام ، التحضر وأثره في الأسرة الأردنية، دراسة ميدانية بمدينة اربد، جامعة القاهرة، 1975.
14. جون فريدمان ، وروبرت وولف،التحول الحضري،ترجمة إدريس القزتم ،احمد الربايعية الجامعة الأردنية، 1979.
15. احسان محمد الحسن ، التصنيع و تغير المجتمع – دار الرشيد للنشر - بغداد 1981.
16. محمود الكردي – التحضر و دراسة اجتماعية - الكتاب الأول – القضايا والمناهج دار المعارف 1986 .
17. محمد بومخلوف ، التوطين الصناعي و قضايا المعاصرة الفكرية والتنظيمية والعمرانية والتنمية _ التحضر، دار الأمة للطباعة والتوزيع ط- 1 .
18. فادية عمر الجولاني، علم الاجتماع الحضري، مركز الإسكندرية للكتاب، 1998 سلسلة الكتاب الجامعي .
19. وجدي شفيق عبد اللطيف، علم الاجتماع الحضري والصناعي، دار ومكتبة الإسراء للطبع و النشر والتوزيع 2007.
20. مجموعة مؤلفين، دراسات في المجتمع العربي المعاصر، تحرير خضر زكريا ، دار الأهالي، 1999 .
21. 23- Jean Remy et Liliane Voye, La ville et l'urbanisation; modalités d'analyse sociologique- édition duculot , 2007.
22. Anne Raulin : Anthropologie urbaine, Paris, Armand Colin, 2001.